الفصل الثاني

الجوانب الاجتماعية في أمريكا..

لعل من أكثر المواضيع تشابكاً وتعقيداً وحساسية هو الموضوع الاجتماعي ، لكن يمكن الاكتفاء ببعض الإشارات :

الأمريكيون يتزوجون في وقت متأخر ، ويفضلون عدداً أقل من الأطفال ، ويمارسون العلاقات الجنسية بدون زواج بنسبة كبيرة جداً .

وخلال (١٠) أعوام مثلاً انخفضت نسبة الزواج بمقدار (١٧٪) ، بينما ارتفع الطلاق إلىٰ رقم قياسي ، فبلغ في عام ١٩٨٠م (١,٢) مليون حالة!

وعدد الذين يعيشون بدون زواج تضاعف (٣) مرات ، وذلك خلال الفترة الممتدة بين عام ١٩٧٠و١٩٨٠م!

وأكثر من (٥٠٪) من النساء اللائي يبلغن من العمر سن (٢٠و٢٤) بقين عازبات .

وهناك نسبة كبيرة من المتزوجات يفضلن عدم الإنجاب!

وإن أعداد النساء اللائي يشكلن القوىٰ العاملة بلغت رقماً قياسياً ، الأمر الذي أدىٰ إلىٰ ارتفاع حجم العمال إلىٰ أكثر من (١٠٠) مليون نسمة لأول مرة .

وهذا الاتجاه المتعلق بمشاركة المرأة في القوىٰ العاملة بفرض زيادة

الدخل وغير ذلك من الأسباب ، جلب بعض المشاكل من الجانب الآخر ، مثل أمور الاهتمام بالأطفال وتوفير الرعاية وإعداد البيت وترتيبه والأسرة ، فظاهرة الأطفال الذين يعودون إلى البيت من المدرسة بعد انتهاء اليوم الدراسي حوالي الساعة الثالثة والنصف ، فيجدونه فارغاً من الأبوين سبّب كثيراً من المشاكل ، منها الشعور بالإحباط ، والجنوح نحو الجريمة ، وتعاطي المخدرات ونحو ذلك . . .

أما كبار السن من السكان فقد تضاعف خلال الأعوام العشرة المذكورة (٨) مرات ، وهؤلاء يشكلون زيادة في التكاليف والتعويضات ، لذلك حذرّ الرئيس الأمريكي (ريجان) من ذلك الوضع ، بقوله : (هناك احتمال ـ احتمال كبير ـ أن الشباب الذين يقومون بالدفع الآن لحساب الضمان الاجتماعي ، سوف لا يستطيعون فيما بعد الحصول علىٰ نفس كمية المبلغ الذي ساهموا به) .

وهناك تقارير كثيرة حول الموضوع ، بعض منها يؤمن بأن الشباب العامل في المجتمع سوف يدفع ضرائب عالية تصل إلىٰ (٤٠٪) من إجمالي الدفع ليتم تغطية تكاليف متقاعد واحد ، الأمر الذي يؤدي إلىٰ انهيار النظام الاجتماعي بكامله ، كما قال الاجتماعي الألماني (بيترفون أهر) .

ذلك لأنه توجد قوائم للإنتظار لمدة عام أو أكثر ، للراغبين في الاستفادة من خدمات الرعاية الاجتماعية للكبار لكثير من هذه المراكز .

ويبدأ الكابوس بالنسبة للعائلة ، عندما يواجه الأبناء قراراً يخصّ مستقبل آبائهم ، من حيث نقلهم إلىٰ مراكز الرعاية وشعور البعض منهم بالذنب والخجل!

ويشعر الآباء بأنهم عالة علىٰ الأبناء ، ويصل الأمر ببعضهم إلىٰ القول

أمام عدسات التلفزيون ، بأنه سيقتل نفسه إذا ما واجه مصير نقله إلىٰ دار للعجزة ، بل ويطلب من أولاده أن يقتلوه إذا ما استدعىٰ الأمر ذلك . . ! !

وأما الحكاية عن المشردين فشيء يجعل الإنسان يتساءل : أهذه مجتمعات راقية متحضّرة ؟ فهناك ما يقارب من (٢٠٠) ألف بالغ بدون مقر للسكن ، يجوبون الولايات ويُطلق عليهم لقب (أناس الشوارع ، أو نساء أكياس البلاستيك)!

حتىٰ مشاكل الدفن ومراسم الوفاة أصبحت مشكلة بحدّ ذاتها :

حيث يواجه بعض الأمريكيين من آباء كبار في السن وأبناء وغيرهم مشكلة دفع مصاريف الوفاة وإيجاد قطعة أرض تستخدم كقبر ، وهناك شركات تأمين و شركات للمقابر وأعمال الدفن!

ولهذا فقد تصل تكلفة الدفن الإجمالية ، ابتداءً من نقل الجثمان في سيارات خاصة ومراسم الدفن وثمن الصندوق إلىٰ مبلغ يتراوح بين (٤٠٠٠) و (١٠٠٠٠) دولار ، أو أكثر ، حسب المراسيم والوضع الاجتماعي للمتوفىٰ .

وهكذا تبدو في الأسرة الأمريكية ظاهرة الانفرادية واضحة علىٰ سماتها ، لذلك فعلىٰ كل فرد أن يعتمد علىٰ نفسه ، خاصة بعد سن الثامنة عشر . . .

وأما العلاقة مع الجيران ، فتبدو شبه منقطعة تماماً ، وذلك لأن الحياة ذات نمط سريع ، وكل فرد مشغول بأموره الخاصة . . .

وأما المراهقين ، فإنهم يعملون في المطاعم ، وذلك في مهن شاقة ، كغسل الصحون ، ونحو ذلك ، والهدف من جراء ذلك هو تجميع المال وشراء الحاجيات ، وتعلّم الاعتماد على النفس . . . مما يعكس مزيداً من العزلة الاجتماعية ، وزيادة في مواجهة المشاكل الناجمة عن تعاطي

المخدرات والخمور والزنا والتدخين . . .

وهكذا تنتشر بين المراهقين الحمل غير الشرعي ، حيث تؤكد الإحصائيات علىٰ أن عدد المواليد غير الشرعيين من آباء مراهقين مليون حالة كل سنة ، أي أن فتاة من بين كل عشر فتيات بالغات من العمر بين (١٥ـ١٩) عاماً يصبحن حوامل كل سنة معظمهن خارج رابطة الزوج!

وفي المجتمع الأمريكي الراقي تتفشىٰ ظاهرة العنف الشخصي ، حيث الاعتداء العائلي يمارس سراً وعلانية ، فإما ضرب للأطفال وإما ضرب للزوجات ، وبالنسبة لحالات ضرب الزوجات يقال إن هناك (٢) مليون امرأة تتعرض للضرب كل سنة من قبل أزواجهن ، ويقال أيضاً إن الرقم هو (٦) مليون امرأة!!

ونشرت مجلة التايم الأمريكية تقريراً جاء فيه : يقدّر عدد النساء اللائي يتعرّضن لأعمال العنف والضرب إلىٰ (٩) مليون امرأة في السنة ، وهناك حوالي (٢٠٠٠) إلىٰ (٤٠٠٠) امرأة تتعرض للضرب حتىٰ الموت ، ويشغل رجال الأمن ثلث وقتهم لحلّ مشاكل العنف داخل الأسرة ، ويعتبر ضرب الأزواج والزوجات مشكلة تسبب تشوه وجرح الضحية ، أكثر مما تسببه حوادث السيارات وجرائم الاغتصاب أو السلب من حيث العدد ، وهو الأمر الذي أصبح مشكلة بحدّ ذاتها ، فعلىٰ طول وعرض الولايات المتحدة بدأت تقام المنظمات القانونية وشبكات الخدمات الاجتماعية والتي بدأتها منظمات نسائية ، والتي بدأت في تعريف أعمال العنف ضد النساء ، واعتبرتها انتهاك للحقوق المدنية للمرأة ، وجريمة ضدها يجب أن تعامل مثل غيرها من جرائم الاعتداء علىٰ الأشخاص .

. . . . وفي المجتمع الأمريكي تتفشىٰ ظاهرة خطف وسرقة الأطفال ، حيث تشير التقارير إلىٰ وجود ما يقارب (١,٨) مليون طفل :

منهم ٩٠٪ إلى ٩٥٪ منهم هم أطفال هاربون من بيوتهم ، وهناك أطفال تم اختطافهم من قبل آبائهم وأمهاتهم بسبب نزاع حول أحقية أي منهما في التربية بعد طلاق أو نزاع عائلي .

. . . وفي المجتمع الأمريكي تنتشر جرائم الاغتصاب ، وذلك كردة فعل علىٰ المجتمع الذي فُقدت فيه مسائل الرحمة والحنان و. . . من جوانح الآباء والأمهات و. . . !!

. . . وفي المجتمع الأمريكي تتفشىٰ حالات الزنا ، وقد نشر تقرير في عام ١٩٨٠م ، بناء علىٰ عيّنة واسعة ضمّت أكثر من (١١٤) ألف رجل وامرأة ، والذي قام به (ليندا ولف وكنسلو) ، فوجدوا أن نسبة (٥٠٪) من النساء تحت سن (٣٥) اعترفوا بممارسة جنسية مع غير أزواجهن ، وبعد هذه السن ارتفع عدد النساء فوصلت نسبتهنّ إلىٰ (٦٩,٢٪) من النساء اللائي أجريت عليهن الدراسة ، وأما الرجال فتبلغ نسبتهن (٧٢٪) وذلك بناء علىٰ دراسة استمرت سنتين ، ونشرت في تقرير عام ١٩٨١م تحت عنوان : (تقرير هايت حول ممارسة الرجال للجنس) .

ولذلك انتشرت الأمراض الخطيرة ، مثل مرض الهيبرس ، ففي عام ١٩٨١ كان عدد المصابين بهذا المرض التناسلي ما يقارب من (٢٠) مليون شخصاً من الجنسين!

ومرض الآيدز والذي سببه الرئيسي كثرة الاختلاط وشيوع الشذوذ الجنسي والتدهور الأخلاقي. . .

كذلك مسألة الإجهاض ، حيث تؤكد التقارير علىٰ أن عدد النساء اللائي يقمن بعمليات الإجهاض حوالي (١,٥) مليون امرأة كل عام. . .

وكذلك قضايا الشذوذ الجنسي ، حيث نشرت مجلة النيوزويك الأمريكية أن عددهم تجاوز الـ(٢٠) مليون شخص!

وهناك ظاهرة الانتحار ، حيث ارتفعت نسبتها بين الشباب إلىٰ (٤١٪) خلال العشر سنوات الماضية .

مما أدىٰ إلىٰ الاهتمام بهذه الظاهرة ، وتوصل الباحثون إلىٰ أن ذلك لايتم إلا عندما يفقد الإنسان الأمل . . ويتسلل اليأس والقنوط إلىٰ قلبه . .

وأهم الأسباب المؤدية إلىٰ الانتحار هو عدم وجود الإيمان في القلب ، مما يؤدي إلىٰ أن أي ضغط من ضغوطات المجتمع ، أو أي خسارة مادية أو عاطفية . . أو أي فشل في دراسة أو إنجاز علمي أو عملي . . . قد يؤدي إلىٰ الانتحار . . .

إذن :

المجتمع الأمريكي يبدو في الظاهر أنه مجتمع مخملي سعيد ، حيث توفر أسباب المعيشة والرفاه ، بينما في حقيقته مجتمع خاوٍ علىٰ عروشه ، فاقد لكل ماله علاقة بالروحانيات ، منقطع الصلة باليوم الآخر والوعد والوعيد وبالخالق سبحانه وتعالىٰ ، لذلك فلا هو يعيش السكينة ولا الهدوء ، مصداق ذلك قوله تعالىٰ :

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر : ٢٢] .

ولا ينقص ذاك المجتمع إلا ما يجعله مطمئناً هادئاً ، مصداق ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] .

* * *